



# البرنقالة

حربة المقاتل ....

استجمع ابي ما تبقى لديه من قوة واعتدل في جلسته كي يستطيع ابصال اخر كلماته الي . ولم اكن اتصور في ذلك الوقت انسي سأتحمل اعباء اسرة بكاملها .... كان اخي لم يتجاوز العاشرة بعد ، وكانت اختي الاولى ترقد في مرجيحتها المعلقة في سقف القرميسد باربعة حبال ولم تتجاوز اشهرها الستة .. وكانت توأمها الاخرى تروء في السرير مما اضطرني الى توزيع يدي بينهما اليمنى تهز بهذه ، والاخرى تدفع بالرجيحة والطفلة تمسك بقدميها زجاجة الحليب الذي كنت قد احضرته لها هذا الصباح من مركز التوزيع التابع لوكالسة الفوٲ ، واستشعرت هممة خلفي ولم نمض لحظات حتى ظهر صوت ابي خفيصاً وكأنما اتى من جوف بئر سحيق . ادركت تحظنتها انه موشك على الرحيل . وانفجرت الاختان مرة واحدة في صراخ حاد قطع تواصل الاحرف القادمة من فم ابي فتساقطت دموعي على فمطة الطفلة في المرجيحة وامتزجت بلوحة حزن غير عادي . وتعالى صيحات الصبية في الخارج يتجادلون حول ادوارهم في الفاء الكرة . كانت ضحكابهم تنتشر بعنوبة على سطح البيت وتتسلل عبر الشبابيك والابواب الى مسامعي تحاول امتصاص الدموع الدافئة من عيني دون جدوى ، كانت ضحكابهم لا تستطيع اختراق حاجز الحزن الذي احاط بنا جميعا وسكنت الطفلتان فجأة حين قال والدي :

– ابناؤنا يا ولدي يصبحون رجالا في سن مبكرة .... يكفيك النظر لجدران البيت او لاختيك حتى تدرك ما اريد ان اوصي ب ....

وانقطع الصوت فجأة .. نظرت خلفي ثم امامي . وفجأة وجدتني احدق في البرنقالة من جديد فأرى ما يشبه الدمع ينساب عن حوافها المستديرة اوشكت لمرآه ان اففز نحوها اقبلها وامسح بوجنتي دمعها المتقاطر في صمت حزين .

قالت امي : ادخل يا ولد البرد شديد في الخارج . قلت ببراءة : لقد اعتدته يا امي صرخت بي : خش وبلاش شيطنة وغلبة .

دلفت الى الخيمة وقد خبات يدي في جيوبي فقد كنت حقيقة اشعر ببرد شديد ولكني اردت في تلك اللحظة ان اثبت ان رجيل الملابس عن جسدي الصغير لن يرهبه كثيرا . وما لبث البرد ان تحول الى صقيع وارتفع صفير الرياح في الخارج قادما من الغرب ما لبث ان سحب

عبوة ناسفة وفي ركن مظلم لبقايا بيت مجاور وجدت نفسي والذكريات وجها لوجه ، فاحسست بحرارة شمس تهوز نخرج من مسام الجدران وتشوي جسدي التحيل ، وحين تخيلتهم داخل البيت ، شعرت بهم يضاجعون الليل في غرفة البيت الوحيدة فيجبل الزمن بألاف المآسي وتنتشر سريعة على وجوه الفقراء في كل المخيمات ... تحسست صدري حيث رقدت العبوة الناسفة وعدت احدق من جديد في البيت الذي ضمني طفلا في المهد .

كان البيت مضاء من الداخل ، وكانت الاشعة المنبعثة من مصباح تخيلته معلقا في سقف الغرفة قد تساقطت على شجرة برنقال خضراء في طرف ( الحوش ) غمرت بضياها احد جوانب برنقالة تدلت خجلى عن سطح انسور الى خارج البيت فكانما ارادت ان تبعد بروائحها كي لا تفتصبها الانوف الغريبة .

سألني ابي :

– ما اسم هذه البندقية ... ؟

– ملتينة (1) ..

اجبت بلسان لم يكتهل بعد اذ كنت في الثالثة من عمري .. ربت على خدي ثم قبلني ومضى . قالت امي بعد سنوات انه كان متوجها الى حيث انتظره الرفاق ليشنوا حربا عادلة .

قررت لحظنتذ ان اهدم البيت واعجن الذكريات ببقايا حجارته .. اخفيت سريرا في بطن انظلمة فتلاحقت انفاصي لاهثة كرغبة العبوة في الانفجار .

تساءلت امي : هذه المساحة الصغيرة يا ولدي .. لماذا لا نزرعها برنقالا ؟ .

واضافت : اني لانس لروائح الزهر حين تداعب هذين الخشمين الهرميين ..

ابتسمت رغم شعوري بلسعات حادة في حلقي فقد ايقنت انها تسمى جاهدة لاعادة ترتيب الذكريات بزرها في المساحة المذكورة ... بعد ان بعدنا عن بياراتنا زمنا طويلا ....

تحسست العبوة وضبطت الزمن جيدا وكان علي ان ابدأ التسلل الى البيت .

ملاحظة : بيتنا يسكنه غرباء .... والتسلل في عصر الثورات

(1) الاصل : مرتينة

معه الخيمة التي طارت مع ما طار من خيام واعتلت الصراخات كبد السماء الرمادية حتى شعرت بنفسني اكاد اسمع ارتعاش قلوب الاطفال في صدورهم واضحا كأنفاسي .

كان الوعد قد اقترب من لحظات الاستعداد الاولى ، حين انطلقت اصوات من الداخل جعلتني اشد نفسي الى اعماق الظلمة بحذر ، ورحت انصت .

امرأة : .....

رجل : .....

امرأة : ... ( غاضبة ) .....

رجل : ... ( يحاول تهدئتها ) .....

امرأة : .....

فتح الباب فجأة وانطلقا خارج البيت واخذا في الابتعاد حتى امتصت المسافة بيننا اخر كلماته الفرية .

ملاحظة : دار الحوار باللغة العبرية

قال اخي الاصفر : لن اصعد تهذه السيارة .. بدي تكسي .. وانا مالي . بعرفش .. بدي تكسي واصر على مطلبه مما جعلني وعمتي نعمله الى العربة بقوة رغم تشيجه المتواصل .

ملاحظة : بعد حوالي عشر سنوات بكى وهو يتذكر تلك الحادثة وقال : كان لا بد ان نوفر فرق الاجرة .. كان ابي في حاجة ماسة للحساء كي يتماسك جسده .

ورحت اتقدم ببطء وحذر نحو البرتقالة ، وتهدت في لونها الذي بدأ كعيني ابي وانقضت فجأة حين احسست بمضي الزمن سريعا وتمنيت لو توقف للحظة لكي استسخت الامر وهكذا تسلفت الجدار وفقرت الى حوش البيت فتقمصتني الذكريات من جديد واحاطت بسي كستار حديدي ولم تقسو قدامي على الحركة .

- اسم الله عليك يا امة ... صه .. صق .. صق .. صق .

- اه .... اخخخخ .. اي .. اوى .. اممممم ؟

وحملتني بين ذراعيها .

العبة حيث تمثرت في طفولتي تقف الان امامي كسور الصين وتصر على الثبات عند ذكرى تلك الحادثة حين جرحت ركبتي الصغيرة ولما كان الزمن يمضي فقد شددت نفسي بقوة انتزعها من بحر الذكريات لصالح المهمة التي قدمت من اجلها ، دلفت الى غرفة النوم ففوجئت

بصندوق حديدي يقبع في احد الزوايا .

- هات يا ولدي اخيالك القرشين في الصندوق عشان ما يضيعو منك .

قالت ابي ثم حلقت بعينيها واضافت :

- كان لنا صندوق حديدي ، احضره والدك من احد معسكرات الانجليز واستخدمه فترة طويلة لاختفاء الملابس والرصاص ... والان لم تعد لنا .. لا ملابس ولا رصاصات ....

- لا تشغلي بالك .... فقد قال مدرسا بالامس ان على جيلنا مهمات ثم شرحها لنا ...

قلت بسرعة في نفسي : هذا افضل مكان لوضع العبوة . نبشت الملابس بسرعة وجعلت العبوة الناسفة تتوسدها في نومة قصيرة لصحوة قادمة ، اغلقت الصندوق وخرجت وانا اهمس بهدوء

- كان ابي من احضره وعلى ولده ان يحطمه كي لا يستخدمه اللصوص ... اغلقت السور فارتطمت البرتقالة بوجهي واهترت في ظلها المترافضة كبسمة ربيعية

قالت ابي : الله يسهل عبرتكان بلدنا .. هيك الحبة

وفردت كفيها مشرعتين كنافذة خضراء . قطفتها برفق واحتضنتها لفترة قصيرة ناسيا نفسي فوق السور لكني سرعان ما تنبهت وهبطت بهدوء ، القيت البرتقالة في عبي وامتزجت بظلمات الشارع مخلفا البيت في انتظار زمن الموت .

بداية :

صحت الذكريات في صدري وانا اقف الى جانب بيت في اول الشارع ولهت رثناي خلف الحقيقة فراودتني فكرة ... انجهدت على اثرها الى بيتنا اتقديم وحين وقع عليه بصري احسست بالجدران تدخل صدري وبالحجارة تصفط عليه بشدة كاتصال حادة .

تذكرت ما قالته ابي ذات مرة :

- هسة يا بني بقطفوا البرتقان حبة ورا حبة ... ايمته ترجع لدارنا . وبكت .

صمت برهة ثم انطلقت دون تردد نحو بيتنا ... وصممت على القيام بعملية ما وفي صدري ترفد عبوة ناسفة .

ربعي المدهون

فلسطين

## دراسات ادبية

من منشورات دار الآداب

د . زكي مبارك  
د . جلال الخياط  
سامي خشبة  
فرانسيس جانون  
لدولويه  
ا . ا . هوتشنر

بين آدم وحواء  
التكسب بالشعر  
شخصيات من أدب المقاومة  
سيمون دو بفوار أو مشروع الحياة  
كامو والتمرد  
بابا همنغواي

د . طه حسين  
» »  
خليل الهنداوي  
رئيف خوري  
رجاء النقاش  
صلاح عبدالصبور

مذكرات طه حسين  
من أدبنا المعاصر  
تجديد رسالة القرآن  
الأدب المسؤول  
اصوات غاضبة في الأدب والنقد  
وتبقى الكلمة